جهود الشيخ عبد اللّه بدندي في نشر علوم اللغة العربية والإسلامية وتأثيرها فى مدينة إلورن، ولاية كوارا، نيجيريا

د.عبد الوهاب عبد القادر إبراهيم و داود سلمان

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبيِّه المصطفى، الصادق الأمين، محمد بن عبد الله، قائد المجاهدين والدعاة والمعلمين، سيد ولد آدم، أفضل من نطق بالضاد، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الكرام الأبرار، وعلى كل من سلك سبيلهم ونهج منهجهم إلى يوم الدين. وبعد:

فإن تاريخ الإسلام حافل بسيرة رجال نصبوا أنفسهم لخدمة هذا الدين الحنيف ولغته العربية منذ عهده الأول إلى الوقت الحاضر، وسيستمر وجود رجال يقيضهم الله تعالى لنصر دينه ونشر تعاليمه ودعوته بين الناس إلى يوم القيامة.

فمن أولئك الأمجاد الذين خدموا الإسلام بكل غالي ونفيس: الشيخ عبد الله بدندي، الذى ركّز جهوده التعليمة والدعوية والإصلاحية في مدينة إلورن في القرن التاسع عشرة الميلادي.

ولد الشيخ عبد الله بدندي بحي أَنْغُوَاريمِي (Anguwar-rimi) في ولاية كتسينا ونشأ بها، وكان في مرحلة مبكرة في حياته مشغوفا بالعلم والتعلم منكبا عليه بكل حوله وقوته حتى اكتسب مكانته بين العلماء، ظهر الشيخ عبد الله بدندي فى القرن التاسع عشرة الميلادي خلال الفترة من ١٨٤٠ إلى ١٩٢١ الميلادي، وبذل جهودا ملموسا فى نشر علم اللغة العربية والدين الإسلامى فى مدينة إلورن والمناطق المجاورة لها بولاية كوارا.

ففي بداية حياته العلمية أخذ العلم والمعارف على يد أحد تلاميذ الشيخ عثمان بن فودي فى مدينة كتسينا مسقط رأسه بحي "أَنْغُوَا- رِيمِي" ثم بدأ يعلّم الناس أنواع من فنون العلوم العربية والإسلامية نحو عشر سنين، وأخيرا قصد الخروج من كتسينا إلى مناطق أخرى لنشر العلوم العربية والإسلامية في المدن والقرى، فخرج مع أخيه جبريل وجملة من تلاميذه، وكانوا ينتقلون من قرية إلى أخرى ومن بلد إلى آخر حتى وصلوا إلى أرض (دَنْدَيْ) الواقعة في حدود بين الشمال والجنوب بدولة نيجيريا، ومكثوا بها عدة سنين حتى وصل خبرهم إلى الأمير الثالث لمدينة إلورن الأمير زبير، فاستقدم الشيخ عبد الله بدندي إلى مدينة إلورن.

وبعد استقرار الشيخ بدندي فى إلورن أقبل إليه أبناء المدينة المتعاطشون إلى توطيد معلوماتهم العربية والإسلامية بالحجج الدامغة والمعرفة الثاقبة لاسيما علماء (أَوْكَيْ لَيْلَيْ، و أَوْكَيْ مَالَيْ) بمدينة إلورن.

رحلات الشيخ عبد الله بدندي العلمية والدعوية قبل دخوله مدينة إلورن:

الشيخ عبد الله بدندي شأنه كشأن كل داعية ينتقل من مكان إلى آخر ويتجول فى بقاع الأرض ينشر الدين والعلم فى أرجاء المعمورة في شمال البلاد، يغرس أشجار العلم مع العمل حتى ترسخ جذورها وثبتت أصولها فى الأرض وامتدت فروعها فى السماء تُؤتي أُكلها كلَ حين بإذن ربها.

وحينما نتكلم عن أثر دعوة الشيخ عبد الله بدندي في خارج مدينة إلورن فإننا نحاول حصر كلامنا على تاريخ جهوده العلمية والدعوية قبل أن يستقدمه أمير مدينة إلورن، الأمير زبير إلى بلده واستقراره فيه، ولم يخرج بعد ذلك من مدينة إلورن إلا خروجه لجلب الكتب والمراجع الدينية واللغوية العربية لطلابه.

مغادرته كتسينا

وقد سبق أنه غادر كتسينا بعد العقدين من عمر دعوته وتعليمه في حي أنغواريمي، وكان هدفه في خروجه نشر العلوم الإسلامية واللغة العربية وبث تعاليم الدين الإسلامي في البلاد.

وكان منهجه في ذلك: البدء بالأهم فالأهم، حسب المعلوم أن التدرج كان مسألةً أساسيةً في التربية والتعليم والدعوة إلى الله تعالى سواء في داخل البلاد أو في خارجها، وسواء في أوساط المسلمين أو في غير المسلمين، لا بد أن يراعى المعلم والداعية فيها هذا الأصل، وهو أن يكون البدء بالأهم فالأهم. فكان الشيخ بدندي يبدأ بالدعوة إلى التوحيد الذي هو الأساس، فإن الداعية إذا أتى قومًا لا يعرفون التوحيد، ولا يعرفون الإسلام فإنما عليه أن يدعوهم أولا إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وهذا يتطابق المنهج النبوي الذى أمر به النبي صلى الله عليه وسلم حينما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن وقال له: "إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُم الَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ"(١)

وهكذا كان دأب الشيخ عبد الله بدندي يتبع هذا المنهج في تعليمه ودعوته للناس، فركز أولًا جهود دعوته وتعليمه للناس على توحيد الله تعالى، حتى إذا اطمئنّ قلبُه بصلاح عقيدة القوم عيّن واحدًا من طلابه البارزين وكلّفه بمواصلة الأعمال التعليمية والدعوية بينهم. ثم يواصل الدرب هو وبقية طلابه حتى قطعوا مسافات طويلة في غرب إفريقيا، حتى وصلوا منطقة وَاسَا (Wasa) في دولة غانا، ونِيكِي (Nikki) وبَارَكُو (Parakou) وسُوغُو (Sougu) ومدينة وَيْنُو(Waenu)، الكل في جمهورية بنين، وحتى وصل هو ومن معه من طلابه حكومةَ محلية كَيَامَا Kiama)) الواقعة الآن في ولاية كوارا بنيجيريا. ومدة مكثه في هذه البلدان تختلف باختلاف المكان والمدة المحتاجة لتثبيت أركان الدعوة وجذورها فيها، ومدى القوّة المناهضة التي تواجههم في البلد أو القرية التي دخلها مع تلاميذه.

جهوده التعليمية في منطقة واسا بجمهورية غانا:

ففي هذه المنطقة (وَاسَا) مكث لفترة من الزمن، وذلك نظرًا لموقع هذه المنطقة الجغرافي، حيث وقعت في المنطقة الغربية التي تعتبر من الأحياء الوثنية كما وصفه محمد عبد القادر بقوله: "إن مملكة غانا كانت مقسومة إلى قسمين: الحي الوثني، والحي الإسلامي، وفي الحي الإسلامي اثنا عشر مسجدًا تُقام الجمعة في أكبرها، وفي كل مسجد إمام ومؤذن وقارئ ومعلم، وفي الحي الوثني - الواقع قُرْب القصر الملكي مسجد يُصَلِّي فيه المسلمون من حاشية الملك" (٢).

ومن ناحية أخرى صادف دخول الشيخ عبد الله بدندي إلى بلاد غانا بداية الحركة التبشيرية المكثفة في المنطقة الغربية بغانا، وذلك في وقت الذي كان "المجتمع وسلن Wesleyan التبشيري النصراني" أرسل أول بعثته إلى ساحل الذهب (أي منطقة غانا)، وما يتبع ذلك في وقت لاحق، وكذلك الكنيسة الميتوديثية بدأت -كما تسمى- فرقة الكتاب المقدس "جمعية تعزيز المعرفة بالمسيحية" من قبل اثنين من المواطنين هما: جوزيف سميث (Joseph Smith) و ويليام دي غرفت (William de Graft) في منطقة كيب كوست(Cape Coast). وكان المبشر الأول الذى بُعث من قبل جمعية وسلن (Wesleyan) التبشيرية في لندن إلى ساحل الذهب هو جوزيف دنول (Joseph Dunwell) الذي وصل إلى ساحل الذهب في عام ١٨٣٥ وتوفي في نفس العام بعد العمل الهائل. وواصل جوزيف سميث و ويليام دي غرفت في العمل حتى قدم زوجان مبشران، غير أنهم ماتوا أيضا بعد وقت قصير من وصولهم ولكن بعد تقديم جهود كبيرة. وفي عام ١٨٣٨، تم بناء كنيسة صغيرة في منطقة كيب كوست خلال عامين، وكان هناك مئات من أعضاء إضافية."(٣)

ومن ثمّ اقتضي الوضع الاجتماعي في منطقة واسا إطالة مكث الشيخ بدندي فيها لتعليم الناس الإسلام والقدر الممكن من اللغة العربية التي تمكنهم من قراءة وفهم كتاب الله تعالى، وفي إثر ذلك أسلم على يديه عدد كبير من المشركين(٤)، ومن تلاميذه المشهورين في غانا: الشيخ سليمان أَكْرَا غانا، الشيخ عبد الكريم أَكْرَا غانا، الشيخ عبد الله أَكْرَا غانا، الشيخ عبد الله كُمَاشِي، الشيخ محمد الثاني بن أبي بكر بوثي، الشيخ يحي كُمَاشِي، الشيخ محمد الجامع(٥).

جهوده التعليمية والدعوية في جمهورية بنين:

وفي بَارَكُو (Parakou) بجمهورية بنين (Benin) تُلَاحَظ آثارُ دعوة العلماء من شمال نيجيريا حتى في بنية المساجد، حيث تتميز بالقلعة والأبراج والمنارات

العالية(٦) على شكل بنية المساجد فى شمال نيجيريا.

فبجهود الشيخ عبد الله بدندي في هذه البقعة (دولة بنين) تم تعزيز برامج التعلمية والدعوية فيها، وقد ساعده في ذلك إجادته وأهمه لغةَ القوم في هذه المنطقة، وهي اللغة الدنديوية (Dendi)، وكان يدعوهم بلسانهم ليلا ونهارا حتى أسلم جَمُّ غَفيرٌ من سكان المنطقة.

ثم بعد مدة من الزمن قدم رأية الدعوة والتعليم لطلابه الذين خلفهم في هذه المنطقة قبل مغادرته إلى بلد آخر للدعوة والتعليم. ومن طلابه الذين خلفهم في جمهورية بنين: الشيخ حسن سوغ والشيخ محمد واسا والشيخ إبراهيم والشيخ بَاكَوْ سوغ وغيرهم(٧). ولم يدخر هؤلاء الطلاب جهدا في نشر العلم والدعوة حتى أسلم على أيديهم عدد غفير من سكان بركو قبل نهاية قرن عشرين الميلادي(٨). وقد قيل إن من الحقائق التاريخية أن الأعمال التعليمة والإصلاحية لا يقتصر تأثيرها وعطاؤها على مدة زمنية محددة التي وقعت فيها، بل يمتد تأثيرها وثمراتها إلى حقبة من الزمن تعد بعشرات السنين، أو عدد من القرون(٩)، فهذا هو الذي حصل لجهود الشيخ عبد الله بدندي في هذه المناطق، حيث بقيت أثار جهوده فيها إلى اليوم.

جهوده التعليمية والإصلاحية بمدينة (كَيَامَا) الواقعة تحت ولاية كوارا، نيجيريا:

أما جهود الشيخ عبد الله بدندي التعليمية والدعوية في الحكومة المحلية (كياما) بولاية كوارا فقد برزت آثارها في نواحى عديدة، وإن كان الشيخ عبد الله لم يمكث طويلا في هذه المنطقة قبل مغادرته إلى مدينة إلورن بإستقدامه الأمير زبير إليه، ولكن قد خلف الشيخ هناك أخاه الشقيق: (الشيخ جبريل) الذي وطد جهود أخيه وأثبت دعائم الدعوة في هذا البلد، وتزوج من قبيلة البرباوية التي تعتبر من أصل هذه المنطقة، ورزقه الله تعالى بنتًا سمّها حليمة. وبعد وفاة الشيخ جبريل انتقل أحد أحفاد الشيخ عبد الله بدندي وهو (الشيخ إدريس) إلى كياما لمواصلة مسيرة الدعوة فيها، فعُيّن إماما وخطيبا للمسجد الجامع هناك إلى وقت وفاته،(رحمه الله تعالى)(١٠).

والشخ عبد الله بدندي قد تأثر كثيرا بثقافة برباوية بكياما حتى يزعم بعض المؤرخين أنه برباوي. إضافة إلى حركاته الدعوية المعهودة من حلقات التعليم والوعظ وقد كان إماما وخطيبا لمدينة كياما قبل مغادرته إلى إلورن، وكان أمير المدينة يرجع إليه غالبا في القضايا الدينية(١١).

فهكذا كانت مسيرة دعوة الشيخ عبد الله بدندي قبل قدومه إلى مدينة إلورن. ومن الجدير بالذكر أنه قد وَجد الشيخ بدندي قاسم لغوي مشترك بينه وبين مواطني هذه المنطقة، وذلك أن لغة دَنْدَيْ هي اللغة الرئيسية في هذه المنطقة، وهذا ساعد الشيخ عبد الله في أداء واجبه الدعوي والتعليمي حيث لم يكن مضطرا إلى تعلم لغة القوم، وهذا ساعد المدعوين على فهم كلامه من دون حاجة إلى أي مترجم آخر. والمعروف أن فهم العَالِم أوالداعية ومعرفته لغة قومه يكون لذلك أثرٌ كبيرٌ في نجاحه وحصوله على هدفه المنشود. قال الله عز وجل في أهمية فهم الداعي لغةَ قومه في الدعوة:"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ، فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"(١٢). قال الإمام الطبري المفسِّر الكبير في تفسيره لهذه الأية: "لِيُفْهِمَهُمْ مَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، لِيُثْبِتَ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ التَّوْفِيقُ وَالْخِذْلَانُ بِيَدِ اللَّهِ، فَيَخْذِلَ عَنْ قَبُولِ مَا أَتَاهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ عِنْدِهِ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ، وَيُوَفِّقُ لِقَبُولِهِ مَنْ شَاءَ"(١٣). وقال الإمام البيضاوي أيضًا في تفسير هذه الآية: "وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ" أي: إلا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ما أمروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة، ثم ينقلوه ويترجموه إلى غيرهم فإنهم أولى الناس إليه بأن يدعوهم وأحق بأن ينذرهم(١٤).

ومن ناحية أخرى قد ذُكر أن الشيخ بدندي قبل دخوله مدينة إلورن مرَّ ببعض مناطق بلاد يوربا، مثل زاكي (Zaki) و أويو (Oyo) وأوبومشو (Ogbomosho) غير أنه لم يتم له الاستقرار في أي منها(١٥).

قدومه إلى مدينة إلورن وجهوده التعليمية والدعوية وآثارها فيها:

وقد أحرزت جهود الشيخ عبد الله بدندي إنجازات كبيرة فى البلدان والقرى التى مرّ بها، وانتشرت أخبار ذلك فى آفاق مدينة إلورن، فلهذا استقدمه الأمير زبير أمير مدينة إلورن حينذاك إلى بلده، وفي إثر دخوله مدينة إلورن اندفع إليه علماء "أَوَكَيْ مَالَيْ – Okemale" و"أَوَكَيْ لَيْلَيْ – Okelele" للإستفادة وأخذ العلوم

العربية والإسلامية منه(١٦).

وقيل إن الأمير علي ابن شيت هو الذي استقبله في سنة ١٨٩٠م(١٧). ولكن الأقرب للصواب هو دخوله إلى مدينة إلورن فى عهد الأمير زبير بن عبد السلام، لاتفاق معظم المؤرخين على ذلك، ولشهرة عهد الأمير زبير بالاهتمام بمعالم الدين والعلماء، خلافا لما تميَّز به عهد الأمير علي من الانشغال بالحروب ضد البلدان المجاورة لمدينة إلورن(١٨).

وقد إستضاف الشيخَ بدندي الأميرُ زبير عند أحد علماء البلد المسمى: "أَلْفَا صالح غَوْبِيْر – Gobir" في بيت "مَيَاكِي – Mayaki"(١٩) الواقع قرب سوق الأمير غَمْبَرِي، وكان ذلك فى فترة ما بين سنة ١٨٦١مـ – ١٨٦٢مـ، فنظرًا لكثرة ضَوْضَاء أصوات الناس في البيع والشراء في سوق (غمبري) القريب لمكان مضيف الشيخ وتشويش ذلك له، جاء الشيخ عبد الله إلى الأمير واستأذنه في الرجوع إلى كتسينا – مسقط رأسه – أو إلى أرض دندي أو أن يختار له الأميرُ مكانا آخرا لإقامته، فأجابه الأمير قائلًا: "أيّ مكان ترغب البناء فيه وتجد فيه لذة العبادة؟" فليجيب الشيخ عبد الله على هذا السؤال طلب من الأمير أن يأمر من يثق به من حواشيه أن يأتي له بأَتْرُبَة مدينة إلورن من جهاتها الأربعة الأصلية، فلما تم تُوفير له هذه الأتربة حسب طلبه إختار واحدًا منها ليكون مكان إقامته الدائمة، وهو المكان الذي بُني له فيه بيتُه في حارة (أَكَنَبِ) الواقعة في الناحية الشمالية بمدينة إلورن(٢٠).

منهج الشيخ عبد الله بدندي في التعليم بمدينة إلورن:

فالمَنْهَج أو المِنْهَج: بمعنى الطريق الواضح، والمنهاج وسيلة محدّدة توصِّل إلى غاية معيَّنة، والمنهج العلميّ: خُطَّة منظّمة لعدَّة عمليّات ذهنيَّة أو حسيَّة بُغية الوصول إلى كشف حقيقة أو للبرهنة عليها، ومنها: مناهج التَّعليم، ويراد بها: برامج الدِّراسة ووسائلها وطرقها وأساليبها(٢١). وفي القرآن الكريم قال تعالى: "لكلٍ جعلنا منكم شِرْعَةً ومِنْهَاجًا"(٢٢). فالمنهاج: الطريق المستقيم الواضح، أو الخطة المرسومة والنظام الموضوع المحدد للسير عليه، واتباعه لتحقيق هدف معين، والوصول إلى غاية محددة(٢٣). فعلى ضوء هذا البيان يمكن القول بأن المنهج: هو مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار والأهداف التي يسعى إليها كل منهم(٢٤).

فمنهج الدعوة: هو النظام الذي يجمع كافةَ جزئيات عملية الدعوة، وينسق بينها لتتكامل والتتحقق ما يراد منها على الوجه الصحيح(٢٥). وقد اتفق منظور الدعوة على أنها تعتمد على مناهج علمية دقيقة مستوحاة من الاستقراء التام للتوجيهات الإلهية والأفعال النبوية في هذا المجال، فيشمل المنهج العقلي والعاطفي والحسي وغير ذلك(٢٦).

وهذه المناهج هي التى تحدد مسار الدعوة ونجاحها، بناء على هذا "يجب القيام بدراسات حول الإنسان، والبيئة، والمذاهب، والثقافة، واتجاهات الرأي العام، من أجل تحديد المنهج الذي تحتاجه الدعوة في أية بيئة من البيئات(٢٧).

وقد دخل الشيخ عبد الله بدندي إلى مدينة إلورن في وقت كانت بأمسّ الحاجة إلى توطيد هويتها الإسلامية بين بلاد يوربا التى كانت تحاربها منذ تأسيسها، كما كانت مضطرا إلى إعداد القوة الفكرية لصمود أمام الحركات التنصيرية التي لا تدخر جهدا في اتخاذ مدينة إلورن مركزَ الانطلاق لاختراق شمال نيجيريا، ولقد كان لهذه الحالة الحرجة بمدينة إلورن أثر فعال فى اختيار الشيخ بدندي المناهج المناسبة للدعوة والتعليم فيها، علما بأنه كان داعية متجولا – فى عهده الأول في حياته- وكانت حركاته الدعوية توقفت وقتئذٍ على حلقات الوعظ التى كان يعقدها فى القرى والبلدان التى كان يمُرُّ بها، ثمّ كان يُعَيَّنُ أحدا من تلاميذه لمواصلة السير في الدعوة والتعليم فى تلك القرى والبلدان، ثم هو يغادر إلى أخرى(٢٨).

ولما تمّ له الاستقرار فى مدينة إلورن ركّز جهوده الدعوية والتعليمية على تعليم مبادئ الدين وفروعه واللغة العربية على قدر الذي يتمكن به الطالب من قراءة القرآن الكريم والزيادة، وكذلك إعداد الدعاة والعاملين فى حقل الدعوة، واتبع في ذلك- على حسب ما استُنبط من نشاطاته- المنهج العاطفي والمنهج الحسي أو التجريبي فى نشاطاته الدعوية والتعليمية.

المنهج العاطفي

يتمثل في الانسجام مع طبيعة الإنسان

العاطفية. يمكن لنا في هذا الصدد ملاحظة التوجيه القرآني في قول الله تعالى: "وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"(٢٩) أن صاحب النصيحة وإن كان على الحق فمن الواجب عليه الولوجُ إلى المنصوح له بطرق لَيِّنَة التي تحرض العواطف وتمس المشاعر وتثير الأحاسيس. والعاطفة ملازمة للإنسان مهما كان موقعه الإجتماعي، فنرى في القرآن الكريم التوجيه الإلهي لنبي الله موسى عليه السلام إلى المدعو فرعون، بتوظيف اللين والرفق في أداء النصيحة، لأن الولوج بطريقة عاطفية قد توقظ قابلية لدي المنصوحين، وهذا المنهج صالح لكل الأزمن والأمكن، وليس هنالك أية شبهة بعد ذلك عندما تصدع بكلمة الحق حسب المطلوب في شرع الله تعالى، فكلمة الحق ليس بالضرورة أن تكون بطريقة العنف أو السب والإهانة أو التحقيرا(٣٠)، ولقد أرشد الله تعالى نبيّه موسى وأخاه هارون عليهما الصلاة والسلام عندما وجَّههما إلى فرعون الطاغوت فقال تعالى لهما: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى"(٣١).

ولقد بيّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهجا شاملا في التعامل بالرفق في كل شيئ، فقال صلى الله عليه وسلم: "إنّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَهُ، ولا يُنزَعُ من شيءٍ إلا شانَه "(٣٢).

والمنهج العاطفي يشمل عدد من الأساليب، منها: الموعظة الحسنة، والترغيب والترهيب، وإظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين، وقضاء حوائجهم على قدر الإمكان، وتقديم المساعدات وتأمين الخدمات، ونحو ذلك(٣٣).

ولقد وظَّف الشيخ عبد الله بدندي هذا المنهج فى مواطن كثيرة في نشاطاته التعليمية والدعوية، فكان يراعى ظروف المدعويين ويسعى لقضاء حاجاتهم، وتقديم المساعدات لهم، وتأمين خدماتهم وإظهار الرأفة والرحمة بهم، وكان مثاليًا فى الضيافة والكرم، وكان دائما يريح تلاميذه وزُوّاره في توفير الأطعمة والوجبات اليومية لهم(٣٤).

وكذلك اسعمل الشيخ المنهج الحسي والتجريبي، المنهج الذى يتركَّز على الحواس ويعتمد على المشاهدات والتجارب(٣٥)، ويتوقف ذلك على أسلوب التعليم التطبيقى، على وجه يشاهد المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به والمدعو إليه(٣٦). ومن أبرز أساليب هذا المنهج:

- لفت الحس إلى التعرف على المحسوسات، للوصول عن طريقها إلى القناعات، قال الله تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"(٣٧)، يقول ابن كثير في بيان هذه الآية الكريمة: " أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية... ودلائل في أنفسهم... ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى "(٣٨).
- وأسلوب التعليم التطبيقي على وجه يشاهد المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به، والمدعو إليه، كما فعل النبي في تعليمه للصحابة الصلاةَ والحجَ وغيرهما من أمور الدين الإسلامي، فقد جاء في الحديث الشريف في الصلاة: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"(٣٩)، وجاء أيضاً فيما يتعلق بأداء مناسك الحج: "لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه"(٤٠).
- القدوة العملية في تعلم الأخلاق والسلوك، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قدوةَ حسنةً للمؤمنين، حيث قال الله تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً "(٤١).
- تغيير المنكر باليد، وإزالته على وجه يشاهده صاحب المنكر، ويُعدُّ هذا الإنكار أقوى درجات الإنكار. وقد جاء في الحديث الشريف الذي رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"(٤٢). قال العلماء: "الأمر بالمعروف باليد على الأمراء، وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضعفاء يعني عوام الناس"(٤٣).

وقد وظَّف الشيخ عبد الله بدندي جلَّ هذه الأساليب في برامجه التعليمية والدعوية - على حسب الملاحَظ والمستخلَص من تاريخ حياته العملية-، فمن الأمثلة على ذلك في حياة الشيخ عبد الله بدندي ما حدث له من موت ابنه، وجاءه نعيُ ذلك وهو في حلقة الدرس مع طلابه فلم يقطع من أجل ذلك درسه

وحلقته، بل أظهر الصبر والتحمل في ذلك، ولم يمنعه ذلك من مواصلة تعليمه مع تلاميذه احتسابا للأجر عند الله تعالى، وتطبيقا لما يعلِّم طلابه من سجية الصبر عند البلاء، وكان هذا منه إمتثالا لتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم الوارد في قوله:"إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولى"(٤٤).

الجهود الدعوية والتعليمية للشيخ عبد الله بدندي فى مدينة إلورن:

تتمثل مسؤولية العلماء والدعاة –فى كل زمان ومكان– فى نشر أصول العقيدة والعبادات والسنة النبوية واللغة الغربية – لغة القرآن – والاضطلاع بمهمة كبيرة فى الحفاظ على المجتمع الإسلامي، والتعامل بالحذر من إفرازات العالم المعاصر، وكل ذلك يكون وفقًا للأصول المقررة في الدين الإسلامي وعقيدته الصافية، وهذه مهام هي خلاصة الجهود التى قام بها الشيخ عبد الله بدندي في مدينة إلورن.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ بدندي ضمَّن لنفسه في بداية الأمر أجواءً مناسبةً لأداء الواجب التعليمي الذى يريد أن يقوم به، وذلك بانتقاله من منطقة مياكي (Mayaki) القريبة من سوق غمبري (Gambari) حيث نزل أولًا إلى حارة أكلنبي (Akalambi) الهادئة البعيدة عن ضوضاء السوق والمزعجات الأخرى(٤٥)، ثم شرع فى تقديم مساهماته التعليمية والإصلاحية بشكل فعّالٍ ومؤثرٍ، بقيامه بعدد من الأعمال والبرامج والتي منها ما يلي:

بناء النهضة التعليمية في مدينة إلورن:

كان نظام التعليم في مدينة إلورن قبل مجيئ الشيخ بدندي متوقفا على النظام البدائي التقليدي، حيث يجمع المعلم طلابه في دهليزه، وكان الغرض الأساسي في هذا النوع من التعليم هو إجادة قراءة القرآن الكريم فحسب، وهذه المدارس كما وصفها عبد الحميد شعيب أغاكا بقوله: "يجلس التلاميذ حول المعلم بعيدين عنه قدر ما يكونون في متناول سوطه الطويل، يرتِّلون القرآن الكريم، وبأيديهم ألواحهم الواسعة التي توضع غالبا على الفخذين، يقرأ المعلم على تلميذه أو على فرقة منهم الآيات التي يريد أن يعلمهم إياها، وهم يقرأون بعده بالمتابعة والتكرار، يكرر المعلم الآية مرارا حتى يقتنع أنهم أجادوا قراءة الآيات بالنطق الصحيح، ثم يبدأ التلميذ يكرر كتابة الآيات على اللوح الخشبي بنوع معين من أوراق أشجار معينة"(٤٦). ولما شرع أمراء مدينة إلورن بعملية استقدام العلماء من الشمال، والتي كان الشيخ عبد الله بدندي منهم، حينذاك بدأت النهضة التعليمية في مدينة إلورن بإنشاء المعاهيد، وإن كانت هذه المعاهد ليست على الصورة المعروفة اليوم، وإنما هي مجرد مكان من منزل الشيخ، وليس من الضرورية أن يكون هذا المكان مفروشا إلا إذا استطاع الشيخ إلى ذلك سبيلا، وكان يدرسهم الكتب العربية ثم يترجمها إلى لغاتهم المحلية، وقد جرت العادة أن تكون السنوات الدراسية وقتئذٍ عشرين سنة إلا قليلا، ثم يأسس المتخرج من هؤلاء الطلاب مدرسته على نظام أستاذه(٤٨). ولما جاء الشيخ عبد الله بدندي بنى على هذه النهضة التعليمية بتأسيس مدرسةٍ للدراسات العربية والإسلامية العالية في حارة منزله أكلنبي (Akalambi) بمدينة إلورن.

قد قامت هذه المدرسة بدور فعّالٍ في نشر العلم حتى كانت مشهورة في المنطقة باسم "إِيلِي كَيْوُو أَلْفَا بَارُوبَا" (Ile kewu Alfa Baruba)، أي مدرسة العلوم العربية والإسلامية للمعلم بَارُوبَا(٤٨)، وكلمة "بَارُوبَا" لقب أطلق على الشيخ بدندي عند دخوله مدينة إلورن، وأصبح هذه المدرسة منارةً للعلم يقصدها طلاب العلم فى كل حدب وصوب داخل مدينة إلورن وخارجها، كما اندفع إليه علماء أَوْكَيْلَيْلَيْ (Okelele) و أَوْكَيْمَالَيْ (Okemale)(٤٩). ولقد كان لهذه المدرسة أثرٌ كبيرٌ فى تمهيد الطريق لمن بعده في تأسيس المدارس العربية الحديثة فى مدينة إلورن، حيث كان أحد تلاميذه– الشيخ موسى أبوبكر أكلنبي – رائدًا في إنشاء المؤسسات العربية الحديثة في مدينة إلورن(٥٠). وقد كثر عدد طلاب هذه المدرسة حتى اضطر الشيخ إلى تقسيم الأوقات الدراسية وجلساته مع الطلاب إلى قسمين: قسم صباحي، يدرس فيه مبادئ العلوم الدينية وفنون اللغة العربية، وقسم مسائي، الذي جعله فرصة مخصصة للدعاة والعاملين فى حقل الدعوة، ليتسلحوا بسلاح العلم والمعارف اللازمة لطبيعة أعمالهم، ولتحقيق النجاح في أعمالهم الدعوية حسب المطلوب(٥١).

تنظيم الشيخ عبد الله بدندي برنامج (الورشة العلمية) لتبادل الآراء والأفكار مع العلماء في مدينة إلورن:

فمن الأساليب والبرامج العلمية التي

اتخذها الشيخ بدندي: تخصيص وقتا معينا للماقشة، يحضر إليها علماء البلد لتبادل الآراء والأفكار في القضايا العلمية والدينية، ويشارك فيه كذلك عدد من كبار طلابه، وهذا البرنامج أشبه ما يكون بالورشة العلمية- على اللغة المعاصرة-، وتتميز هذه الحلقة التعليمية بتهيئة المناخ الملائم لتبادل الأفكار والآراء، بحيث يسمح لكل عالم أو داعية أو طالب بإلقاء ما في جعبته من المقال أو رأي في المسألة العلمية والدينية المطروحة للنقاش، ويعضّد الكل كلامه بالحجج والبراهين والأدلة من الكتاب والسنة، فهذا البرنامج جعل الكثير من جهابذة العلماء في عصره يقبلون إليه ويبدون آرائهم فى القضايا الدعوية والمسائل الدينية. وقد وُجد من أولئك العلماء من ينافس الشيخ بدندي في العلم وفي إدلاء بالحجج والبراهين، كمثل الشيخ بيغوري وأمثاله(٥٢).

ففي هذا الصدد يذكر الكاتب جيما وهو يبيّن كيف كان العلماء يتدفّقون إلى دهليز الشيخ عبد الله بدندي فيقول:"كان العلماء في مدينة إلورن من جهاتها المختلفة يتعهدون الحضور إلى منزل الشيخ عبد الله بدندي يوميا للاستفادة وتبادل الآراء والأفكار مع الشيخ في قضايا اجتماعية ودينية متنوعة بقصد الاستزاد في العلم والمعرفة"(٥٣). ويعتبر هذه السجية عمل بالتوجيه الوارد في قول الله تعالى: "وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ"(٥٤). قال الحسن في تفسير هذه الآية: ما شَاوَرَ قومٌ في أمر قط إلا هداهم الله - تعالى - لأفضل ما بحضرتهم؛ لأن المشاورة اجتماع العقول والأذهان، وإذا اجتمعت كانت إلى استدراك الحق والصواب أسرع وأبلغ مما لو انفرد كل عقل بنفسه(٥٥).

سعي الشيخ بدندي في توفير كتب الدين واللغة العربية للطلاب فى مدينة إلورن:

ومن الجدير بالذكر أن من مجهودات الشيخ عبد الله بدندي فى سبيل نشر العلم والدعوة في مدينة إلورن قيامه بإحضار الكتب اللغوية والمراجع الدينية للطلاب والدعاة وغيرهم من العلماء. فإنه حسب المعلوم أن الكتاب وسيلةٌ مهِّمةٌ للعلم والتّعلم لا غنى لأحد عنه على الإطلاق، فكل أحد حينما يريد التّعلم فإنه يقبل على الكتب التي تحتوي على أنواع العلوم المختلفة. وعلى رغم هذه الأهمية للكتب وضرورة توفرها للطلاب وللعلماء على حد السواء، بحيث لا يستغنى عنها أحدٌ في نجاح الأعمال الدعوية والتعليمية، فإن معظم طلاب العلم والدعاة فى ذلك الوقت ينقصهم مما ينقصهم: صعوبة الوصول إلى هذه الكتب والمراجع. يصور الشيخ آدم الإلوري مدى صعوبة حصول العلماء وطلاب العلم الأوائل على المراجع والكتب الدينية في ذلك الوقت ويقول:

"العلماء الأولون كانوا يقرأون الكتب مكتوبة على الألواح ليحفظوها، وذلك لندرة الأوراق، وكانوا يقرأون على ضوء الأحطاب فى القرى وعلى ضوء القنادل الزيتية فى المدن. وكان الطالب يحصل على نسخة الكتاب عند شيخه بشق الأنفس، ولا يسمح له الشيخ باستعارة جملة الكتاب بل يسمح له بنسخ بعض من الأوراق منها حتى تتم له الجملة – التى يريد تنسيخها-"(٥٦).

لهذه الصعوبة في الحصول على الكتب والمراجع أدرك الشيخ عبد الله بدندي أهمية تمكين الطلاب للحصول على ما استجد من الكتب والمراجع في العلوم الدينية واللغوية، فعزم على أن يسافر في طلب إحضار الكتب التى يستفيد منها طلابه وغيرهم من العلماء في البلد، فعلى إثر هذا، جمعوا له مئات من المبالغ المالية ليتوجّه بها إلى جمهورية مصر العربية ليأتيهم بها ما يفيدهم من الكتب والمطبوعات، فخرج متوجِّها إلى جمهورية مصر مرورا بمدينة كانو ومدينة برنو، ولما وجد أهم الكتب المطلوبة فى كانو وبرنو رجع إلى إلورن بهذه الكتب، فأقبل إليه طلبة العلم يستنسخون المعلومات من هذه المراجع، فصار بيت الشيخ بدندي ملتقى الطلاب والعلماء والدعاة، كل منهم يسوّد بياض الأوراق بالعلم والمعرفة، ويطّلع الكل على ما استجد من العلوم في مجالات اللغوية والدينية العديدة، وكان الشيخ بدندي على هذه الحالة حتى كفّ بصرُه، فاضطر إلى أن يستقدم إليه أحدَ كبار تلاميذه، وهو الحاج محمد، الذى درس في القاهرة من الأزهر الشريف ثم رجع، لكي يساعده فى القراءة والكتابة(٥٧).

الجيل الذي تربَّى على يد الشيخ بدندي للدعوة ونشر العلم في مدينة إلورن:

والجيل المقصود هنا هو الجيل الذي شهد مرحلة تاريخية التي تلي سلسلة الحروب التي دارت بين الأمير عبد السلام (الأمير الأول لمدينة إلورن) وبين أَفَنْجا. (أفنجا) كان أولَ مشارك مع المؤسس الأول

لمدينة إلورن الشيخ عَالِم، وكان أَفَنْجا يريد أن يكون بيده زمام الأمر بعد وفاة الشيخ عالم، ولكن لم توافق معه جماعة المسلمين بمدينة إلورن أن يتولي الإمارة، لكونه ليس بمسلم في الأصل، بل أمّروا عليه وعلى أهل البلد الأمير عبد السلام أكبر أولاد الشيخ عالم، فاشتد الاختلاف بينهما، فهجم عليه الأمير بجيشه وقتلوه وحرقوا بيوته بعد قتال عنيف. ثم أخذ الأمير يغزو بلاد يوربا المجاورة لمدينة إلورن لتواطئهم مع أفنجا في الحرب، فهجم الأميرُ بجيوشه على بلاد "إِبوَمِنَا" "Igbomina"وغزا إِكِرُون"Ikirun"، وهجم على عاصمة ممالك يوربا المعروفة باسم" أَوَيَوْ إِلِي (Old Oyo) "، حتى تخربت وتفرقت. ولما توفي الأمير عبد السلام سنة (١٨٤٣م) سلك مسلكه أمراء إلورن الذين جاؤوا بعده كالأمير شتّ، والأمير زبير، والأمير علي الذى انقادت له مدينة أَوَفَا وماجاورها، ثم توقفت هذه الحروب فى أيام الأمير مَامَا المشهور(١٨٩١م –١٨٩٦) لشدة ميله إلى الصلح بين المسلمين وغير المسلمين، وقد تمكّنوا من نشر اللغة العربية والدراسات الإسلامية في هذه المناطق أيام هذه الحروب الدينية الطاحنة، لأن المسلمين حيثما حلّوا حلّ معهم الإسلام واللغة العربية (٥٨).

وبعد هذه الحروب كانت الحركة التعليمية والدعوية على قدم وساق، فشهدت الحضارة الإسلامية والحركة العلمية والأدبية تقدما ليس لها مثيل فيما سبق في مدينة إلورن. وقد كانت للشيخ عبد الله بدندي اسهامات هائلة في هذا التقدم، حيث كان معظم العلماء القائدين لهذا التقدم إما أحدَ من الذين استفادوا منه علميًا مثل الشيخ محمد بيغوري، أو أحدَ من طلابه، أمثال الشيخ محمد وزير بدا، والشيخ محمد السادس الشهير بـ(كَوْكَيْهُو كَوْبَيْرَيْ) (Kokewukobere)، أو أحدَ من أحفاده كمثل الشيخ أبوبكر أوماهي، وغيرهم من علماء مدينة إلورن الذين استفادوا منه ويشار إليهم بالبنان إلى يومنا هذا في مدينة إلورن.

والشيخ محمد وزير بدا البرناويّ كان من طلاب الشيخ عبد الله بدندي الذين لازمه طويلا، وقد قيل إنه مكث في بيت الشيخ عبد الله بدندي مدة نحو سبع سنين من عمره، يأخذ منه العلوم بشتى فنونها، من المواد اللغوية مثل النحو والصرف والبلاغة، والمواد الدينية مثل الفقه والتفسير والحديث وغير ذلك، حتى بلغ من عمره عشرين سنة(٥٩). وله مؤلفات عديدة منها: "الإتحاف بنظم الإسعاف في سيرة النبي المنعوت في سورة الأعراف"، و "تحفة الولدان بعدد سور وآيات وكلمات وحروف القرآن الكريم"، والمنظومة الموسومة بـ "بذل النصيحة لأهل السودان في بيان قواطع السلم عن الإنسان"، و "نهي عن شرب الدخان"، و "كشف الغطاء عن عدد أنواع الأحاديث والآثار"، و "إرشاد الحبيب الصادق إلى سيرة سيد الخلائق"، وغير ذلك من مؤلفاته القيمة(٦٠). وبالإضافة إلى هذه الكتب له قصائد عديدة في شتى الفنون اللغوية والدينية. وإن كان هذا الشيخ من مواليد بلدة بدا، غير أنه قضى وقتا طويلًا مثمرًا من عمره في مدينة إلورن، وقد تلمّذ على يده جَمٌّ غَفيرٌ من جهابذة علماء مدينة إلورن، أمثال الشيخ أحمد بن أبي بكر إِكَوْكَوْرَوْ، والشيخ محمد الثاني الأبراري إمام مسجد بوبو إبننا (Popo Igbonna)، والشيخ حبيب الله والد الشيخ كمال الدين الأدبي، وغيرهم كثير(٦١). ومن العلماء الذين لم يتلمذوا على يديه مباشرةً ولكن تأثروا ببعض مجهوداته العلمية واقتدوا بآثاره الثقافية: الشيخ آدم عبد الله الإلوري، حيث يقول الشيخ آدم عبد الله الإلوري بنفسه في آخر كتابه: (لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن): "وأحببتُ علمَ التاريخ كوالدي، وتأثّرتُ بكبار الواعظين في بلدي، وبالحاج وزير بدا، وبآدم نماجي في الكتابة..."(٦٢).

أما الشيخ سعد محمد السادس، الشهير بـ(كَوْكَيْهُو كَوْبَيْرَيْ) فهو من طلاب الشيخ عبد الله بدندي الذين تركوا بصماتهم في مجال الدعوة في مدينة إلورن وما حولها، وقد كان يتجوّل بالدعوة ومجالس الوعظ، كما كان علوقا بقلبه في تأسيس المعاهد العلمية، وكانت حركاته الدعوية تستهدف جميع الناس بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية، وقد بدأ دعوته بمحاربة البدعة التي لاحظها في بعض المسلمين، واتخذ أساليبا مختلفة في تصحيح هذا الوضع القبيح، ولم تتوقف مجهوداته الدعوية عند هذا الحد بل أوصلها إلى قصور الملوك الجبابرة في بلاد يوربا أمثال ملك أَلَافِنْ أَوَيَو(Alafin Oyo)، و أَلَاكَيْ، ملك مدينة أَبَيْوكُوتَا (Alake Abeokuta)، و أَوَلُوبَادَنْ ملك مدينة إِبَادَنْ (Olubadan Ibadan)، وغيرهم من ملوك بلاد يوربا. وكان فريدا في عرض مضمون وعظه في بيوت من الشعر الشعبي (Waka)، له مواقف كثيرة في هذا الصدد؛ ومنها الحوار الذى دار بينه وبين ملك أويو لديبولو (Ladibolu)

حيث واجهه بشعر شعبي ما معناه: "على مدى ذكائك كانت حماقتك× إذ لم تكن تسجد إلا للصنم× بدلا من أن تتوضأ وتتوب إلى الله× تتمادى متجوِّلا في غيِّك وضلالك×"(٦٣).

وبتنوِّع أساليب الشيخ (كَوْكَيْهُو كَوْبَيْرَيْ) في الوعظ والإرشاد تمكن من إحراز إنجازات كبيرة في حقل الدعوة، وأسلم على يديه عدد كبير في بلاد يوربا، حتى كان أمير مدينة إلورن حينذاك الأمير شعيب أطلق عليه لقبًا سمّاه بـ "أمير الواعظين"(٦٤).

من هنا تظهر إسهامات الشيخ عبد الله بدندي في إعداد الجيل الذهبي بمدينة إلورن، حيث تتلمذ بين يديه الشيخ وزير بدا، الذي يعتبر عمدة في العلم والتعليم، والشيخ (كَوْكَيْهُو كَوْبَيْرَيْ) الذي كان قطبا في الوعظ والإرشاد في مدينة إلورن.

ومن جهود الشيخ بدندي الإصلاحية في إلورن: العناية بالأيتام والتعاون الاجتماعي:

وقد كان بيت الشيخ عبد الله بدندي ملجأ الأيتام ومأواهم، وعلاوة على تعليمهم كان يوفِّر لهم بعض الاحتياجات اليومية من الأطعمة والملابس، وسَهُل عليه فعلُ ذلك بكونه يوزِّيع الأيتام بين أزواجه، حيث جعل عددا معينا منهم في رعاية كل من زواجاته(٦٥). ولا يزال خلفائه يسيرون على هذا النمط في كفالة الأيتام ورعايتهم حتى اليوم.

ومن ناحية التعاون الإجتماعي:

كان الشيخ عبد الله بدندي نموذجا في التعاون الاجتماعي، حيث كان يراعى ظروف المدعوين والطلاب، ويسعى في قضاء حوائجهم، وتقديم المساعدات إليهم، وتأمين الخدمات الضرورية لهم، وإظهار الرأفة والرحمة بهم، وكان فريدا فى الضيافة والكرم، وكان دائما يريح تلاميذه والزوار من أتعاب توفير الوجبات، حيث كان يوفّر لهم الوجبات الغذائية ثلاث مرات يوميا مجانًا (٦٦).

ومن أبرز مظاهر التعاون الاجتماعي للشيخ عبد الله بدندي أنه كان يزوِّجُ بناته لتلاميذه، وقد زوَّج فاطمة للشيخ جرجيس، وآمنة للشيخ أحمد زاكي، وميمونة للشيخ مصطفى، والد أوماهي، وحواء غانا للشيخ محمود، والد الشيخ سراقة(٦٧. وكان هذا الخلق من الشيخ إمتثالًا للتوجيه النبوي الشريف الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله تعالى عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ"(٦٨).

بعض من الصعوبات والعقبات التى واجهها الشيخ عبد الله بدندي في حياته العملية:

طريق الدعوة محفوف بالعقبات، ومفروش بالمخاطر والتضحيات، وذلك بسبب صعوبة المسؤولية التى يتحملها الداعية أمام الله تعالى وأمام الناس، إلا أن فيها أجرا كبيرا عند الله تعالى لمن قام بها حق القيام. فما من داعية إلا كان له نصيب من المحن والتحديات التى تواجهه، وقدرته على إيجاد الحلول وطرق الخروج من هذه الصعوبات والعقبات هي التى تحدد مدى نجاحه وإنجازاته فى أعماله الدعوية والتعلمية(٦٩).

والشيخ عبد الله بدندي قد مر بهذه التجربة متأسيا بمَنْ قبله من الدعاة الذين ذاقوا مرارة العقبات والمحن فى سبيل الدعوة إلى الله، فأول الصعوبات التى واجهته يتمثل فى تكييفه مع البيئة الجديدة التى وجد نفسه فيها في مدينة إلورن، وقد كان فى مدينة إلورن مجموعة من العلماء الذين وفدوا إليها من أماكن شتى، ولكل منهم منهجه في الدعوة و في تعليم الناس، ولما دخل الشيخ عبد الله بدندي مدينة إلورن لقي ردودا فعلية متنوعة من الناس، فمنهم من رحب به وانضم إلى قافلة طلابه أو مناظريه، ومنهم من قام ضد حركاته، معاديا له يتربص له الدوائر؛ ومما ورد في ذلك أنه: ذات يوم كان بين تلاميذه فى حلقته التعليمية كالعادة إذ جاءه أحد من علماء إلورن فبدأ بتوجيه عدد من الأسئلة الإنكارية إليه التى كان ظاهرها التعجيز وإظهار نقص الشيخ أمام طلابه والذين معه، ولما أدرك الشيخ الغرض من هذه الأسئلة عدل عن الإجابة عليها في أول وهلة، وبدأ بتقديم موعظة بالغة رادعة، مبيِّنًا فيها خطورة الحسد بين العلماء، ثم أخيرًا أجابه على أسئلته بالأجوبة المقنعة (٧٠).

ومن أكبر العقبات التى أبطأت إحراز التقدم لدعوة الشيخ عبد الله بدندي ضعف ملكته وكفائته فى اللغة اليوروباوية التى هي اللغة السائدة في منطقة إلورن في أول دخوله إليها، والذى دفع طلابه الذين لا يجيدون سوى اللغة اليوروباوية إلى أن يتعلموا إما اللغة الهوساوية أو الفلاتية أو الدندبوية، أو أن يعتمدوا على المترجم الواسط بينه وبينهم، ففي هذا الصدد

يقول الشيخ آدم الإلوري:

"وكان الطلبة والمشايخ يتعلمون عدة لغات لفهم دروسهم، وإذا كان شيخه هوساويا تعلم لغته ليدرس بها العلوم، وإذا كان فلانيا تعلم لغته ليدرس بها، لذلك كانت الطبقة الثانية يعتادون ترجمة الدروس من الهوساوية أو الفلانية إلى اليوروباوية(٧١).

ومن ناحية أخرى، فقد مرّ الشيخ عبد الله بدندي بعدد من المحن والإبتلاء في حياته، منها وفاة معظم أبنائه صغارا دون سن البلوغ والرشد. وقد ذُكر أنّ الله تعالى قد رزقه بأكثر من خمسة عشر ابنا، فتوفي أكثرهم صغارا حتى لم يبق منهم إلّا ستة فقط (٧٢). فقد وقف الشيخ أمام هذه المحن وقفةً قويّةً، واستمر في مواصلة جهوده وتضحياته في التعليم والدعوة حتى حقق الله له النصر والنجاح المعزز، وصار يُذكر إلى اليوم - بالخير والصلاح - في تاريخ مدينة إلورن وغيرها من المدن التي مرّ بها وغرس فيها أشجارًا طيبةً مثمرةً تؤتى أُكلها كل حين، فرحمة الله تعالى عليه رحمة واسعة.

الخاتمة

إن تعليم الناس الخير ودعوتهم إلى الإسلام تبقي مسؤوليةً كبيرةً على كل من الأفراد والجماعات على مدى الدهور والأزمان. وقد شهدت مدينة إلورن عدد من الأعيان البارزين من العلماء الذين بذلوا أقصى ما في وسعهم لنشر علوم الدين ولإعلاء كلمة الله في أرجاء المدينة وخارجها. والشيخ عبد الله بدندي من ضمن أولئك العلماء والدعاة الذين تركوا بصماتهم في حقل الدعوة. وهو الشيخ المولود بحي أنغواريم بمدينة كتسينا، فقدم إلى مدينة إلورن في عهد الأمير زبير، وأنشأ في تعليم أبناء مدينة إلورن وعلمائها رأس نزوله بحارة أكلنبي. وتلمذ على يديه عدد غفير من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان من علماء مدينة إلورن ودعاتها. وعلى رغم العقبات والتحديات التي واجهته فقد حقق له النجاح في واجبه الدعوي والتعليمي والتربوي، واجتهد صامدًا وقويًا حتى أحرز انجازات كبيرة، التى منها إمداد طلاب العلم والدعاة والعلماء بالكتب والمراجع المهمة القيِّمة في علوم الدين واللغة العربية، (لغة الإسلام، اللغة المحبوبة إلى المسلمين الصادقين في كل مكان وزمان). ومنها أيضًا تمهيد الطريق لمن جاء بعده في نشر العلم، وعلى الخصوص في تأسيس وإنشاء المدارس العربية والإسلامية الحديثة فى مدينة إلورن،. وكان وفاة الشيخ عبد الله بدندي في عام ١٩٢١ ميلادية. (رحمه الله رحمة واسعة). وقد ترك خلفه عددٌ كثيرٌ من جهابذة العلماء الذين واصلوا الجهود في التعليم والدعوة إلى يومنا هذا في مدينة إلورن وخارجها.

وأخيرٌ، توصى هذه الورقة المسؤولين في شؤون التعليم في كل من الحكومة الفيدرالية والحكومة الولائية في نيجيريا بالسعي والعمل الجاد بإدراج تعليم دراسة تاريخ حياة العلماء الأمجاد في مناهج التعليم في طل من مراحل الدراسة الإبتدائية والمتوسطة وحتى إلى المرحلة الجامعية في الدولة، وذلك لإلقاء الضوء على حياة أمثال هؤلاء العلماء لهدف تعويد الأجيال الناشئة على الجد والعمل مع الإخلاص لإيجاد المجتمع الصالح. والله تعالى نسألُ أن يجزي الجميع خير الجزاء، وصلى الله وسلم على نبيِّنا وحبيبنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين. (وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

الهوامش والمراجع

(١) أخرجه البخاري وغيره، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجامع المسند الصحيح، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ه، حديث رقم (٢٤٤٨).

(٢) أحمد، محمد عبد القادر "المسلمون في غينيا"www.islamstory.com/ar

(٣) Amanor، Jones Darkwa. Pentecostalism in Ghana: An African Reformation. http://www.pctii.org/cyberj/index.html. P. ٨

(٤) عثمان، سلمان أحمد، مساهمة الشيخ عبد الله بدندي في نشر العلم في غرب أفريقيا، ٢٠١٢م، ص١٣.

(٥) http://en.wikipedia.org/wiki/Benin

(٦) الأكلنبي، مرتضى سلمان، "بحث عن شخصية الشيخ عبد الله بدندى"، مركز المخطوطات والثقافة الإلورية بجامعة ولاية كوارا، مليتي، ٢٠١٣ ص١٩.

(٧) http://en.wikipedia.org/wiki/

(٨) http://en.wikipedia.org/wiki/Benin

(٩) سعيد، رجب عبد الحميد، دروس وعبر من تاريخ ودعوة أولى العزم،كلية الدعوة الإسلامية. القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ٤.

(١٠) مقابلة شفوية مع حفيده أمين الله سليمان.

(١١) مقابلة شفوية مع حفيده أمين الله سليمان.

(١٢) سورة إبراهيم، الآية ٤

(١٣) أبو جعفر الطبري ،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م، ج ١٣ ص ٥٩٢.

(١٤) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨ ه، ج٣ ص١٩٢

(١٥) الأكلنبي، محمد مرتضى .المرجع السابق. ص:١٣

(١٦) الإلوري، آدم عبد لله، لمحات البلوري فى مشاهير علماء إلورن، مكتبة الآداب ومطبعتها، الجماميز، ١٩٨٢م، ص٤٩.

(١٧) Jimoh، L. A.K .Ilorin the Journey So Far Atoto Press. Ilorin.١٩٩٤. P. ٤٢٧

(١٨) نفس المرجع السابق، P.١٣٩-١٤١.

(١٩) نفس المرجع السابق، P. ٤٢٨.

(٢٠) عثمان، سلمان أحمد، مساهمة الشيخ عبد الله بدندي في نشر العلم في غرب أفريقيا ص:١٦.

(٢١) أحمد مختار، عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م، ج ٣ ص: ٢٢٩١

(٢٢) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٢٣) جلال البشار، منهج الدعوة إلى الله، حنون للطباعة والنشر القاهرة ١٩٩٩ م، ص ٢٩

(٢٤) بدرالدين، زواقة، مناهج الدعوة و تطبيقاتها في النصيحة الشرعية، جامعة باتنة، الجزائر.

http://zaouaga.blogspot.com.ng/p/blog-page___٤٤٩.html.

(٢٥) مهدى ، أحمد عبد الحميد، مقدمة تمهيدية في معنى المناهج لغة، قسم الدعوة كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية شاه علم - ماليزي ص ٣.

(٢٦) عفيفي، ط، وعبد الوهاب، تأملات فى فقه الدعوة، مكتبة الإيمان، القاهرة،٢٠٠٦ص٦٤.

(٢٧) نفس المرجع السابق، ص ٦٤.

(٢٨) عثمان، سلمان أحمد، مساهمة الشيخ عبد الله بدندي في نشر العلم في غرب أفريقيا، ص ١٢.

(٢٩) سورة آل عمران،الآية ١٥٩.

(٣٠) بدرالدين، زواقة، مناهج الدعوة و تطبيقاتها في النصيحة الشرعية، ص ٦

(٣١) سورة طه، الآية ٤٤.

(٣٢) أخرجه مسلم، أنظر: مسلم، الجامع الصحيح،(صحيح مسلم)، حديث رقم ٢٠٠٤١" من طريق الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ عن عائشة عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه". وأبو داود رقم "٢٤٧٨"، وأحمد "٦/ ٥٨ و١١٢ و١٢٥ و١٧١ و٢٠٦ و٢٢٢

(٣٣) محمد، أبو الفتح البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، قطر، ١٤١٨، الطبعة الرابعة ص٢٠٦.

(٣٤) Jimoh، L. A.K .Ilorin the Journey So Far، P ٤٢٨.

(٣٥) عفيفي، تأملات فى فقه الدعوة، ص ٢٦

(٣٦) المرجع السابق نفسه، ص ٣٤

(٣٧) سورة فصلت، الآية ٥٣

(٣٨) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج ٤ ص١٣٣.

(٣٩) أخرجه البخاري في صحيحه، مختصراً، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر...، رقم الحديث (٥٩٥)، ٢٢٦/١.

(٤٠) صحيح، أنظر الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، ٩٢٠/١، بدون رقم طبعة، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ، قال الألباني: صحيح. وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ)، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة...، حديث رقم (٢٣٨٦)، ٩٤٢/٢.

(٤١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٤٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...، حديث رقم (٧٠)، ٦٩/١.

(٤٣) القرطبي، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية – القاهرة. الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.ج ٤ ص:٤٩.

(٤٤) أخرجه البخاري (١٢٥٢) و (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦)، وأبو داود (٣١٢٤)، والترمذي (١٠٠٨) و (١٠٠٩)، والنسائي ٤/ ٢٢ من طريق شعبة، عن ثابت بن أسلم البناني، عن أنس. وقال الترمذي: حسن صحيح.وهو في "مسند أحمد" حديث رقم (١٢٣١٧).

(٤٥) عثمان، سلمان أحمد، مساهمة الشيخ عبد الله بدندي في نشر العلم في غرب أفريقيا، ص ١٦.

(٤٦) عبد الحميد شعيب أغاكا. الثقافة العربية في مدينة إلورن، بحث مقدم لنيل درجة الليسانيس ، عام ١٩٨١م، قسم اللغة العربية، جامعة بييرو كنو، ص ٤٦.

(٤٧) عبدالقادر يونس أوغانيجا، الأدب العربي النيجيري تطور و ازدهار، يوليو ٢١/ ٢٠١٥.

http://afrikaar.com .

(٤٨) Jimoh، L. A.K .Ilorin the Journey So Far، P ٤٢٨.

(٤٩) الإلوري، آدم عبد لله، لمحات البلوري فى مشاهير علماء إلورن، ص ٤٩.

(٥٠) Jimoh، L. A.K .Ilorin the Journey So Far، P ٤٣٦.

(٥١) مقابلة شفوية مع حفيدة الشيخ بدندي/ الحاجة حواء.

(٥٢) الثقافي، عثمان عبد السلام محمد، تاريخ الأدب العربي فى مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الإستقلال، دار الفكر العربي. القاهرة. ٢٠٠٩، ص ٢٤

(٥٣) Jimoh، L. A.K .Ilorin the Journey So Far، P ٤٢٨.

(٥٤) سورة الشورى، الآية:٣٨.

(٥٥) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م، ج ٩/ ص ١٣٣.

(٥٦) الإلوري، آدم عبد لله، لمحات البلوري فى مشاهير علماء إلورن، ص ١٠.

(٥٧) المرجع نفسه ص٤٩.

(٥٨) الثقافى، عثمان عبد السلام محمد، و بودوفو، خليل الله محمد عثمان، دور إمارة إلورن النيجيرية في استثمار اللغة العربية، قسم اللغة العربية جامعة إلورن، ص٤.

(٥٩) عثمان بن سلمان، علماء الإمارة، دار الفكر العربي– القاهرة، الطبعة الأولى،٢٠١٥م، ج١/ ص١٤٩.

(٦٠) المرجع نفسه ص١٥١.

(٦١) المرجع السابق نفسه، ص١٥٥.

(٦٢) الإلوري، آدم عبد لله، لمحات البلوري فى مشاهير علماء إلورن، ص٩٠.

(٦٣) مسعود عبد الله غاتا، علماء الإمارة ، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م. ج١/ ص ٢٣٢. ومطلع هذا الشعر بلغة المحلية (يوروباوية) هو:

B`oti gbonto be lo` go to. # Eere lo ku t`on dobale fun

Kaka ko we` wo kotun we`se kotuba. # Rederede jatijati l`on baka.

(٦٤) الإلوري، آدم عبد لله، لمحات البلوري فى مشاهير علماء إلورن، ص٥٢.

(٦٥) مقابلة شفوية مع حفيدة الشيخ/ الحاجة حواء.

(٦٦) Jimoh. L. A.K .Ilorin the Journey So Far. P ٤٢٨.

(٦٧) مقابلة شفوية مع الحاجة حواء.

(٦٨) أخرجه ابن ماجة حديث رقم (١٩٦٧).

(٦٩) أكاديمية علم النفس، ٢٠١٠

http://www.acofps.com/vb/showthread.php?t=٦٨٤٤

(٧٠) مقابلة شفوية مع الخليفة الثالث للشيخ بدندي/ الشيخ: سلميان بن إدريس.

(٧١) الإلوري، آدم عبد لله، لمحات البلوري فى مشاهير علماء إلورن، ص١١.

(٧٢) عثمان، سلمان أحمد، مساهمة الشيخ عبد الله بدندي في نشر العلم في غرب أفريقيا، ص١٢.